مفهوم البكاء وصوره في القرآن والسنّة والأحكام الشرعية المتعلقة به

أ.م. عبد السلام إبراهيم مجيد محمد الماجد
قسم التربية الإسلامية
كلية التربية الأساسية / جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث: 2012/9/11 ؛ تاريخ قبول النشر: 2012/11/14

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى بيان فضيلة البكاء من خشية الله ، وقد جاء البحث على ثلاثة فصول، تكلمت في الفصل الأول على تعريف البكاء في اللغة والاصطلاح وبيان أقسامه، وتضمن الفصل الثاني البكاء في القرآن والسنة ، ثم بينت في الفصل الثالث الأحكام الشرعية المتعلقة بالبكاء من حيث الإباحة والتحريم ، ثم تطرقت إلى موقف الطب الحديث في الإعجاز العلمي لفوائد البكاء، وفي الختام ذكرت أهم النتائج التي توصلت إليها مع ذكر المصادر والمراجع التي اعتمدتها.

Crying: Its Virtue, Parts, and Legal Judgments

Asst. Prof. Abd Al-Slam Abrahem AL- Majed
Department of Islamic Education
College of Basic Education / Mosul University

Abstract:

This research aims at showing the virtue of crying out of fear of Allah. The research falls into three chapters. In the first chapter, I have talked about the definition of “Crying” linguistically and technically in addition to demonstrating its parts. The second chapter includes “Crying in the Qur’ān and Sunnah”. In the third chapter, I have shown the legal judgments related to crying from being allowed or forbidden. Then , I have talked about the attitude of modern medicine regarding the scientific miracles of crying benefits. Finally, I have mentioned the most important results of the research and the references used.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

البكاء فطرة بشرية وهو انفعال طبيعي غريزي ليس للإنسان فيه مجال اختيار، ومن يريد أن يفتعله فهو يتباكى، وأن الله سبحانه هو الذي يُحيي ويُميت وهو الذي يُضحك ويُبكي ولقد أثنى الله تعالى في كتابه الكريم على البكائين من خشية الله والبكاء من خشية الله تعالى أقوى مترجم عن القلوب الوجلة الخائفة ، فأهل الإيمان والقرآن هم أهل الله وخاصته الذين ما تركوا لله طاعة إلاّ شمَّروا عن ساعد الجد لأدائها وما علموا بشيء فيه رضا الله إلاّ فعلوه راغبين راهبين فأورثهم الله نور الإيمان في قلوبهم فصارت قلوبهم لينة من ذكره تعالى. وإنّ أهل المعاصي قد اجتمعت على قلوبهم الذنوب حتى صارت قلوبهم قاسية كالحجارة أو اشد قسوة وأبعد القلوب من الله القلب القاسي.

أسباب اختيار الموضوع:

إنّ المتأمل في سيرة السلف الصالح يجد أنّ حياتهم كانت حافلة بالبكاء من خشية الله تعالى وهذا لاشك من الإيمان والتقوى والصدق والإخلاص ، وما طغى على مجتمعاتنا الآن من التأثير المادي مما أدى إلى قسوة القلوب عند بعض المسلمين وهذا لاشك ناتج من ضعف الإيمان وكثرة المعاصي والبعد عن الله الذي يؤدي إلى قسوة القلب ، فحاولت جمع ألفاظ البكاء في القرآن والسنّة وما ذكره المفسرون وشرّاح الحديث وأقوال الفقهاء في المسألة.

هيكلية البحث:

وقد تضمنت مادة البحث تمهيداً وثلاثة مباحث حيث تناولت في التمهيد تعريف البكاء لغةً واصطلاحاً وعند الأطباء ثم بيان أقسامه. وتناول المبحث الثاني البكاء في القرآن الكريم في أربعة مطالب المطلب الأول في التأثر والبكاء في سماع كلام الله والخشية منه ، والمطلب الثاني في بيان معاني التهكم من موقف الكافرين والمنافقين ، والثالث في بيان قدرة الله تعالى على إيجاد الضحك والبكاء والرابع في بيان موقف إخوة يوسف ، وتناول المبحث الثاني البكاء في السنّة النبوية (البكاء المحمود) في خمسة مطالب ، الأول في التأثر والبكاء في سماع كلام الله والخشية منه، والثاني عند ذكر الله تعالى ، والثالث بكاؤه (ﷺ) رحمة لامته ، والرابع البكاء على من حضرته الوفاة، والخامس في البكاء في الصلاة من خشية الله وأقوال الفقهاء في ذلك ، وتناول المبحث الثالث، البكاء المذموم وفيه أربعة مطالب ، في المطلب الأول البكاء في الصلاة من غير خشية الله وأقوال الفقهاء في ذلك، الثاني

البكاء على الميت وحكم النياحة ، والمطلب الثالث في الفوائد الشرعية للبكاء ومصير الباكين، والرابع في الفوائد الصحية للبكاء.

وفي الختام ذكرت نتائج البحث ومصادر ومراجع البحث. وما كان فيه من زلل وخطأ فذلك مني ومن الشيطان ورحم الله من دلنا على زلاتنا وأخطائنا. فما الكمال إلاّ لله وحده. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

تمهيد: بيان تعريف البكاء لغة واصطلاحا وعند الأطباء وبيان أقسام البكاء

البكاء لغةً: قال الفيروزابادي: (مأخوذ من بكى يبكي بُكاءً وبكىً ، فهو باكٍ جمعه بُكاة وبُكيٌّ، وأبكاه فَعلَ به ما يوجب بكاءه ، وبَكّاه على الميت تبكيه هيَّجهُ للبكاء ، والبكيّ كرضيّ: الكثير البكاء والتباكي تكلّفُهُ) [1]. وقال ابن منظور: (بكا: البكاء يقصر ويمد إذا مددت أردت الصوت الذي يكون مع البكاء ، وإذا قصرت أردت الدموع وخروجها) [2].

البكاء اصطلاحاً: (هو إراقة الدموع من اثر الخوف من الله تعالى أو للتعبير عن حزن في الفؤاد) [3].

البكاء في الاصطلاح الطبي: عرفه الدكتور مصطفى أحمد: (هو خروج ما تفرزه الغدد الدمعية لوسط العين ويصاحبه سيلان مائي بالأنف والبلعوم وتقلص للعضلات العينية مع قبض عضلات الوجه والبطن وارتفاع الحجاب الحاجز وأحياناً يرافقه سعال خفيف) [4].

وقد ذكر الثعالبي ترتيب حالات البكاء فقال: (إذا تهيأ الرجل للبكاء قيل أجهش ، فإن امتلأت عينُهُ دموعاً قيل اغرورقت عينه وترقرقت ، فإذا سالت قيل: دمَعت وهَمَعت، فإذا حاكت دموعها المطر قيل: همت ، فإذا كان لبكائه صوت قيل: نحَبَ ونَشَجَ، فإذا صاح مع بكائه قيل: أعول) [5].

أقسام البكاء:

ذكر العلامة أين قيم الجوزية رحمه الله أقسام البكاء فقال:أحدها: بكاء الرحمة والرأفة والرقة ، الثاني: بكاء الخوف والخشية ، الثالث: بكاء المحبة والشوق، الرابع: بكاء الفرح والسرور ، الخامس: بكاء الجزع من ورود المؤلم وعدم احتماله، السادس: بكاء الحزن.

والفرق بين بكاء الحزن وبكاء الخوف: إنّ بكاء الحزن يكون على ما مضى من حصول مكروه أو فوات محبوب ، وبكاء الخوف يكون لما يتوقع في المستقبل من ذلك.

والفرق بين بكاء السرور والفرح وبكاء الحزن أنّ دمعة السرور باردة والقلب فرحان، ودمعة الحزن حارة والقلب حزين ، ولهذا يقال لما يفرح به هو قرّة عين وأقرَّ الله به عينه، ولما يحزن هو سخينة العين وأسخن الله عينه به.

السابع: بكاء الخور والضعف.

الثامن: بكاء النفاق وهو أن تدمع العين والقلب قاسٍ فيظهر صاحبه الخشوع وهو من أقسى الناس قلباً.

التاسع: البكاء المستعار والمستأجر عليه كبكاء النائحة المستأجرة بالأجرة.

العاشر: بكاء الموافقة وهو أن يرى الرجل الناس يبكون لأمر ورد عليهم فيبكي معهم ولا يدري لأي شيء يبكون ولكن يراهم يبكون فيبكي.

وما كان من ذلك دمعاً بلا صوت فهو بكى مقصور، وما كان معه صوت فهو بكاء ممدود.

وما كان منه مستدعى متكلَّفاً فهو التباكي وهو نوعان: محمود ومذموم.

فالمحمود: أن يستجلب لرقة القلب ولخشية الله ، لا للرياء والسمعة.

والمذموم: أن يجتلب لأجل الخلق. من ذلك: (مرَّ عمر بن الخطاب (ﷺ) وقد رأى رسول الله (ﷺ) يبكي هو وأبو بكر الصديق (ﷺ) في شأن اسارى بدر: اخبرني ما يبكيك يا رسول الله ؟ فإن وجدتُ بكاءً بكيتُ وإنْ لم أجد تباكيت لبكائكما) [6]. ولم ينكر عليه الرسول (ﷺ) ، وقد قال بعض السلف: (ابكوا من خشية الله فإن لم تبكوا فتباكوا) [7].

المبحث الأول
البكاء في القرآن الكريم
وفيه أربعة مطالب

من خلال الوقوف على نصوص القرآن الكريم وجدنا أن لفظ البكاء قد ورد في سبعة مواضع [8] ، ففي سورتي الإسراء ومريم في بيان فضل ومدح أهل الإيمان والخشية من الله تعالى في سماع كلامه ، وفي ثلاثة مواضع تهكم وذم لمواقف الكفار والمنافقين في سورة التوبة والنجم والدخان. وفي موضع بيان لقدرة الله تعالى على الإبكاء والضحك في سورة النجم. وفي الموضع الأخير بيان وكشف الموقف أهل الباطل وادعائهم الكاذب كما في بكاء موقف إخوة يوسف عليه السلام بعد فِعْلِ ما فعلوا.

ومن خلال هذا الفصل نحاول أن نبين هذه المراتب وذكر أقوال المفسرين في ذلك.

المطلب الأول

التأثر والبكاء في سماع كلام الله تعالى والخشية منه

إنّ لآيات الذكر الحكيم أثراً في قلوب الناس وخصوصاً أهل العلم والطاعة والاستقامة، قال تعالى: ﴿ قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً ﴿107﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴿108﴾ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً (الإسراء: 107-109).

قال الطبري: (إنّ الذين أوتوا العلم من قبل النبي (ﷺ) من مؤمني أهل الكتابين من قبل نزول الفرقان يبكون ويزيدهم ما في القرآن من المواعظ والعبر خشوعاً وخضوعاً لأمر الله وطاعته واستكانة له) [9]. وقال القرطبي: (هذه مبالغة في صفتهم ومدح لهم وحقٌّ لكل من توسَّم بالعلم وحصل منه شيئاً أن يجري إلى هذه المرتبة فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويذل ، ويضعون الأذقان على الأرض في حال السجود وهو غاية التواضع ، واللام بمعنى (على) وإنما خص الأذقان بالذكر لأنّ الذقن اقرب شيء من وجه الإنسان ولا يجوز السجود على الذقن ، لأنّ الذقن ها هنا عبارة عن الوجه وقد يعبر بالشيء عما جاوره وببعضه عن جميعه فيقال خرَّ لوجهه ساجداً وإن كان لم يسجد على خده ولا عينه) [10]. وقال البروسوي: (أي حال كونهم باكين من خشية الله تعالى ، كرر الخرور للأذقان لاختلاف السبب ، فإنّ الأول لتعظيم أمر الله ، والثاني لما أثر فيهم من مواعظ القرآن) [11] . وقال الحجازي: (ويزيدهم سماع القرآن اطمئناناً وخشوعاً وهكذا كل مؤمن صادق في إيمانه) [12].

وقال سيد قطب: (وهو مشهد موح يلمس الوجدان مشهد الذين أوتوا العلم وهم يسمعون القرآن فيخشعون ، إنهم لا يتمالكون أنفسهم فهم لا يسجدون ولكن (يخرون للأذقان سجداً) ثم تنطق ألسنتهم بما خالج مشاعرهم من إحساس بعظمة الله وصدق وعده ويغلبهم التأثر فلا تكفي الألفاظ في تصوير ما يجيش في صدورهم منه فإذا الدموع فتنطلق معبرة عن ذلك التأثر الغامر الذي لا تصوره الألفاظ ، انه مشهد مصور لحالة شعورية غامرة يرسم تأثير هذا القرآن في القلوب المتفتحة لاستقبال فيضه العارفة بطبيعته وقيمته بسبب ما أوتيت من العلم قبله والعلم المقصود هو ما انزله الله من الكتاب قبل القرآن ، فالعلم الحق هو ما جاء من عند الله) [13].

* وقد جاء على هذا السياق قول الله تعالى: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيًّا (مريم: 58).

قال الرازي: (أثنى الله تعالى على كل واحد ممن تقدم ذكره من الأنبياء بما يخصه من الثناء ثم جمعهم بالنبوة ولأنه اختارهم للرسالة فبيّن تعالى أنهم مع نعم الله عليهم قد بلغوا الحد الذي عند تلاوة آيات الله يخرون سجداً وبكياً خضوعاً وخشوعاً وحذراً وخوفاً والمراد بآيات الله ما خصهم الله تعالى به من الكتب المنزلة عليهم ، ثم استدل رحمه الله ببعض الأحاديث منها قول النبي (ﷺ) (لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم) [14] ، قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح) [15].

وقال القرطبي: (في هذه الآية الكريمة دلالة على أنّ لآيات الرحمن تأثيراً في القلوب والمراد بآيات الرحمن الكتب المتضمنة لتوحيده وحججه وأنهم كانوا يسجدون عند تلاوتها ويبكون عند ذكرها ، والمروي عن ابن عباس (ﷺ) أنّ المراد به القرآن خاصة وأنهم كانوا يسجدون ويبكون عند تلاوته) [16]. وقال الحجازي: (أي سقطوا ساجدين باكين بقلوبهم وعيونهم وهكذا من خالط قلبه حب الإيمان وأُشرب في قلوبهم حب القرآن) [17]. وقال سيد قطب: (فهم أتقياء شديدوا الحساسية بالله ، ترتعش وجداناتهم حين تتلى عليهم آياته ، فلا تسعفهم الكلمات للتعبير عما يخالج مشاعرهم من تأثر ، فتفيض عيونهم بالدموع ويخرون سجداً وبكياً ، أولئك الأتقياء الحساسون الذين تفيض عيونهم بالدمع وتخشع قلوبهم لذكر الله)[18].

المطلب الثاني
في معاني التهديد والتهكم من حال الكافرين والمنافقين

يدور هذا المبحث حول موقف القرآن من التبكيت للكافرين والمنافقين حيث يقول الله تعالى:

﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاء بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴿ 82 ﴾ (التوبة: 82).

يقول القرطبي: (أمر معناه معنى التهديد وليس أمراً بالضحك ، قال الحسن (فليضحكوا قليلاً) في الدنيا (وليبكوا كثيراً) في جهنم ، وقيل هو أمر بمعنى الخبر: أي أنهم سيضحكون قليلاً ويبكون كثيراً –جزاءً) مفعول من اجله ، أي للجزاء ثم استشهد بحديث رسول الله (ﷺ):((والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولخرجتم إلى الصعدات (الطرقات) تجأرون إلى الله تعالى لوددت إني كنت شجرة تُعضَد)) [19]. قال فغطى أصحاب رسول الله (ﷺ) وجوههم ولهم (خنين) [20] . قال ابن حجر: في معنى الخنين: (بالحاء المهملة وفي رواية بالخاء ، حنين الصوت الذي يرتفع بالبكاء من الصدر ، خنين: من الأنف ، والحنين بكاء دون الانتحاب وقد يجعلون الحنين والخنين واحد إلاّ أنّ

الحنين من الصدر والخنين من الأنف) [21] ، قال ابن باز رحمه الله: (وهذا يدل على كمال إيمانهم وكمال تصديقهم بما اخبر به الرسول محمد (ﷺ))[22]. وقال المباركفوري: (أي بكاء كثيراً أو زماناً كثيراً أي من خشية الله ترجيحاً للخوف على الرجاء وخوفاً من سوء الخاتمة والمراد بالعلم هنا ما يتعلق بعظمة الله وانتقامه ممن يعصيه ، والأهوال التي تقع عند النزع والموت وفي القبر وفي يوم القيامة ، ومناسبة كثرة البكاء وقلة الضحك في هذا المقام واضحة ، والمراد به التخويف) [23].

وقال ابن كثير: (قال تعالى متوعداً هؤلاء المنافقين على صنيعهم هذا (فليضحكوا قليلاً)[24]. قال البروسوي: (بكاء كثيراً في الآخرة في النار جزاء أي ليبكوا جزاء بما كانوا يكسبون من فنون المعاصي ويبكون دائماً وأنّ أهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع) [25].

* * وعلى هذا السياق جاء التهديد والتنديد بموقف المعاندين تجاه القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴿ 59 ﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴿ 60 ﴾ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴿ 61 ﴾ (النجم: 59-61). قال الطبري: (يقول تعالى ذكره لمشركي قريش أفمن هذا القرآن أيها الناس تعجبون أن نزل على محمد (ﷺ) وتضحكون منه استهزاءً به ولا تبكون مما فيه من الوعيد لأهل معاصي الله وانتم من أهل معاصيه وأنتم سامدون وأنتم لاهون عما فيه من العبر والذكر معرضون عن آياته ، يقال للرجل دَعْ عنا سمودك يراد به دَعْ عنا لهوك) [26]. وقال الحجازي: (أي تعجبون إنكاراً وتضحكون استهزاءً ولا تبكون خوفاً من عذاب الله وأنتم لاهون بالحديث متشاغلون بأي شيء) [27]. قال الصابوني: (ولا تبكون من زواجره وآياته وقد كان حقكم أن تبكوا الدم بدل الدمع حزناً على ما فرطتم وأنتم لاهون غافلون) [28]. وقال ابن باز : (وهذا ذمٌ لهم ، أن يضحك الإنسان من القرآن ويعجب منه عجب استنكار وسخرية ولا يبكي منه ، والقرآن أعظم واعظ يعظ الله به القلوب ، ولكنه إذا ورد على قلوب كالحجارة والعياذ بالله فإنها لا تلين ولكنها تزداد صلابة) [29].

* * *وكذلك على هذا المعنى جاء بيان القرآن الكريم أنّ السماء والأرض لا تبكيان على الظالمين والكافرين بخلاف أهل الإيمان والتقوى والطاعة والاستقامة حيث يقول القرآن الكريم عن نهاية

فرعون وجنوده: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴿29﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴿30﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴿31﴾ (الدخان: 29-31).

قال الطبري: (لأنهما يبكيان على أولياء الله) ، ثم استشهد بحديث رسول الله (ﷺ): (إنّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً) [30] ، وقرأ رسول الله (ﷺ) (فما بكت عليهم السماء والأرض) ثم قال إنهما لا يبكيان على الكافر [31]. وقد ذكر العلامة ابن كثير رحمه الله نحواً من هذا الكلام ونقل عن مجاهد عن يحيى أنه قال: (ما مات مؤمن إلاّ بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحاً فقلت له: أتبكي الأرض؟ فقال أتعجب وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود ؟ وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دويٌ كدويّ النحل ، وقال قتادة: كانوا أهون على الله عز وجل من أن تبكي عليهم السماء والأرض)[32]. وقال البروسوي: (كانت العرب تقول إذا مات فيهم من له خطر وقدر عظيم يقولون بكت عليهم السماء والأرض يعني أنّ المصيبة عمت بموته الخلق. وهنا في هذه الآية الكريمة تهكم للكفار وبحالهم لمنافاته لحال من يعظم فقده وروي أنه إذا مات كافر استراح منه أهل السماء والأرض والبلاد والعباد ، وإنّ السموات والأرض لا تبكي على العصاة وأهل الضلالة والأنانية، فكيف تبكي السماء على من لم يصعد إليها منه طاعة ؟ وكيف تبكي الأرض على من عصى الله عليها ؟ بل يبكيان على المطيعين ، فالعصاة مستحقون لنكال الدنيا والآخرة ، أما نكال الدنيا فلاشتغالهم بظواهرهم بأذية الداعي مستعجلين فيها ، وأما نكال الآخرة فلمحاربتهم مع الله ببواطنهم بالتكذيب والإنكار ، وهذا بخلاف حال عصاة المؤمنين فإنهم إذا فعلوا ذنباً من الذنوب ينظرون ليتوبوا فلا يكتب في صحائف أعمالهم ، ولا يؤاخذون به عاجلاً لأنّ الله يعفو عن كثير ويجعل بعض المصائب كفارة الذنوب ، فلا يؤاخذ آجلاً أيضاً فلهم الرحمة الواسعة والحمد لله تعالى ولكن ينبغي للمؤمن أن يعتبر بأحوال الأمم فيطيع الله تعالى في جميع الأحوال ويجتهد في إحياء الدين لا في إصلاح الطين ومن الله العون) [33].

وقال سيد قطب: (ويبدأ المشهد بصور النعيم الذي كانوا فيه يرفلون جنات وعيون وزروع ومكان مرموق ينالون فيه الاحترام والتكريم ونعمة يلتذونها ويطعمونها ويعيشون مسرورين محبورين. ثم ينزع هذا كله منهم أو ينزعون منه ، ويرثه قوم آخرون – وفي موضع آخر: ﴿ ﴾ (الشعراء: 59) وبنو إسرائيل لم يرثوا ملك فرعون بالذات ولكنهم ورثوا ملكاً مثله في الأرض الأخرى

فالمقصود إذن هو نوع الملك والنعمة الذي زال عن فرعون وملئه وورثه بنو إسرائيل. ثم ماذا ؟ ثم ذهب هؤلاء الطغاة الذين كانوا ملء الأعين، والنفوس في هذه الأرض: ذهبوا فلم يأس على ذهابهم أحد ، ولم تشعر بهم سماء ولا ارض ، ولم ينظروا أو يؤجلوا عندما حل الميعاد ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾الدخان 29﴾ وهو تعبير يلقي ظلال الهوان ، كما يلقي ظلال الجفاء ... فهؤلاء الطغاة المتعالون لم يشعر بهم أحد في أرض ولا سماء ، ولم يأسف عليهم أحد في أرض ولا سماء ، وذهبوا ذهاب النمال ، وهم كانوا جبارين في الأرض يطأون الناس بالنعال ! وذهبوا غير مأسوف عليهم فهذا الكون يمقتهم لانفصالهم عنه، وهو مؤمن بربه ، وهم به كافرون ! وهم أرواح خبيثة شريرة منبوذة من هذا الوجود وهي تعيش فيه! ولو أحس الجبارون في الأرض ما في هذه الكلمات من إيحاء لأدركوا هوانهم على الله وعلى هذا الوجود كله ، ولأدركوا أنهم يعيشون في الكون منبوذين منه، مقطوعين عنه، لا تربطهم به آصرة، وقد قطعت آصرة الإيمان) [34].

المطلب الثالث

في بيان قدرة الله تعالى على إيجاد البكاء والضحك

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ 43 النجم ﴾

قال الطبري: (يقول تعالى ذكره وأنّ ربك هو اضحك أهل الجنة في الجنة بدخولهم إياها وأبكى أهل النار في النار بدخولهموها ، واضحك من شاء من أهل الدنيا وأبكى من أراد أن يبكيه منهم) [35].

وقال البروسوي: (والمعنى هو خلق قوتي الضحك والبكاء في الإنسان منهما ينبعث الضحك والبكاء والإنسان لا يعلم ما تلك القوة. أو هما كنايتان عن السرور والحزن كأنه قيل: افرح وأحزن لأنّ الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء ، وقيل لعمر بن الخطاب (ﷺ) : هل كان أصحاب رسول الله (ﷺ) يضحكون ؟ قال: نعم ، والله والإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي) [36].

المطلب الرابع

في بيان موقف إخوة يوسف عليه السلام والبكاء الكاذب

قال تعالى: وَجَاؤُوا أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ﴾ 16 يوسف ﴾

قال القرطبي: (أي ليلاً ، وإنما جاءوا أباهم عشاءً ليكون أقدر على الاعتذار في الظلمة ولذا قيل لا تطلب الحاجة بالليل ، فإنّ الحياء في العينين ، ولا تعتذر بالنهار من ذنب فتتلجلج في الاعتذار، قال السُّدي وابن حبان: إنه لما قالوا أكله الذئب خرَّ مغشياً عليه ، فأفاضوا عليه فلم يتحرك،

ونادوه فلم يجب ؛ قال وهب: ولقد وضع يهوذا يده على مخارج نَفَس يعقوب فلم يحس بنَفَس ، ولم يتحرك له عِرْقٌ ، فقال لهم يهوذا: ويل لنا من ديّان يوم الدين ! ضيعنا أخانا وقتلنا أبانا، فلم يفق يعقوب إلاّ ببرد السحر ، فأفاق ورأسه في حجر روبيل ؛ فقال: يا روبيل ! ألَم ائتمنك على ولدي ؟ ألم أعهد إليك عهداً ؟ فقال: يا أبت ! كُفَّ عني بكاءك أخبرك، فكفَّ يعقوب بكاءه فقال: يا أبت **چ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ چ**(يوسف: الآية: 17) قال علماؤنا: هذه الآية دليل على أنّ بكاء المرء لا يدل على صدق مقاله، لاحتمال أن يكون تصنُّعاً ؛ فمن الخلق من يقدر على ذلك ، ومنهم من لا يقدر ، وقد قيل: (إنّ الدمع المصنوع لا يخفى) [37]. قال الشيخ الصابوني: (وهذا القول يدل منهم على الارتياب ؛ ونقل رواية: إنّ امرأة تحاكمت إلى شريح فبكت ، فقال الشعبي: يا أبا أمية أما تراها تبكي ؟ فقال لقد جاء إخوة يوسف يبكون وهم ظلمةٌ كَذَبةٌ ، لا ينبغي للإنسان أن يقضي إلاّ بالحق) [38].

فمن خلال مجرد البكاء لا يمكن للإنسان أو القاضي أن يعطي الحق للباكي فقد يكون هو المتعدي.

المبحث الثاني
البكاء في السنّة المطهرة (البكاء المحمود)
وفيه خمسة مطالب

إنّ للبكاء أثراً كبيراً لاسيما ما يتولد منه البكاء هل من باب الخشية من الله وتأثراً من سماع القرآن وغير ذلك أم من باب الجزع وعدم الرضا بالقضاء والقدر ، ومن خلال الوقوف على سيرة الحبيب المصطفى محمد (ﷺ) عن طريق مصادر الحديث النبوي نرى أنّ المحدثين قد وضعوا عناوين في موضوع البكاء لما لهذا الموضوع من أهمية وفي مقدمة هذه المصادر الصحيحين فصحيح البخاري [39] قد تضمن في محتواه مثلاً (باب البكاء عند قراءة القرآن ، باب البكاء عند المريض، باب ما ينهى من النَّوح والبكاء ، باب قول النبي (ﷺ) (يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه، الخ ...) إذا كان النوح من سنّته. وصحيح مسلم [40]: (باب فضل استماع القرآن والبكاء عند القراءة ، باب البكاء على الميت ، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلاّ أن تكونوا باكين ... الخ) ، وكذلك الإمام الترمذي [41] في سننه قد ضمن هذه الأبواب ومنها (باب ما جاء في فضل البكاء من خشية الله ، ....الخ) والإمام أبو داؤد [42] (باب البكاء في الصلاة .... الخ) والنسائي [43] وابن ماجه [44] والإمام النووي [45] في كتابه الشهير رياض الصالحين ضمن هذا الموضوع (باب فضل البكاء ، باب البكاء

والخوف ... الخ) ، إلى غير ذلك من مصادر الحديث النبوي من كتب السنن والمسانيد والمعاجم الحديثية التي تروي أحاديث رسول الله (ﷺ).

ومن خلال الوقوف على هذه الأحاديث نرى أنها على مراتب عدة ومعانٍ مختلفة فكل حديث له مقاصده وأهدافه وأحكامه الخاصة به سنشير في الفصل القادم في الأحكام الشرعية من حيث التحريم ومن حيث الإباحة والجواز.

والناظر في هذه الجملة من الأحاديث النبوية الصحيحة يجد أنه لم يكن بعيداً في بكائه (ﷺ) عن الحق فتراه يبكي خشية من الله سبحانه وتعالى أو سماع كتابه وتارة يبكي لاستشهاد أصحابه أو احتضار إنسان وتارة من المسؤولية الجسيمة التي ألقيت عليه وتارة يبكي رحمة لأمته من وقوع العذاب. ولم يكن بكاؤه (ﷺ) من باب بكاء كثير من أهل زماننا يبكون على الدنيا وللدنيا. وكان بكاؤه (ﷺ) لا يتنافى مع الحق والرضا ، بل كان في كل بكائه راضياً عن الله ، راضياً بقضائه وقدره، لا يخرج من لسانه كلمة تغضب الله عز وجل ، ولا تتحرك له جارحة بحركة فيها فنسخط على قدر الله وحُكْمه ، بل ذمَّ رسول الله (ﷺ) وتبرأ ممن ذهب به الحزن والبكاء إلى أقوال وأفعال لا يرضاها الله تبارك وتعالى. ولقد كان رسول الله (ﷺ) دائم الخشوع والانكسار مع ربه في سائر عباداته وشؤونه وقضاياه ، فالمجال لا يسمح لذكر جميع الأحاديث التي وردت في بكاء النبي (ﷺ) ولكن نحاول وعلى قدر المستطاع أن نذكر الحديث وما يتعلق به من الأحكام الشرعية في الأبواب التي وردت ، ذاكرين كل حديث وما يشير إليه من المعنى المقصود وما يتضمنه من حكم شرعي كالبكاء في الاستماع إلى القرآن وفي البكاء من خشية الله تعالى وبكائه في الصلاة والبكاء من أجل أمته (ﷺ) أو عند حضوره في دفن أصحابه أو من مات من أمته رحمة وشفقة وحسب المقام.

المطلب الأول
البكاء عند قراءة القرآن والاستماع له

*عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال رسول الله (ﷺ) اقرأْ عليَّ ، قال: اقرأُ عليك وعليك أُنزل ؟ قال إني اشتهي أن اسمعه من غيري ، قال فقرأت النساء حتى بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً﴿41﴾﴾ (النساء: 41) قال لي: (كُفَّ ، أو امسك ، فرأيت عينه تذرفان) [46]. قال النووي: (ويستحب البكاء عند قراءة القرآن وهو صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين) [47]. ثم

ذكر في فوائد هذا الحديث في شرحه لصحيح مسلم أموراً منها: (استحباب استماع القراءة والإصغاء لها والبكاء عندها وتدبرها واستحباب طلب القراءة من غير ليستمع له وهو ابلغ في التفهم والتدبر من قراءته)[48]. وقد ذكر ابن حجر العسقلاني تفسيرات لهذا البكاء فقال:

1- فبكى حتى ضرب لحياه ووجنتاه فقال: يا رب ، هذا على ما أنا بين ظهريه فكيف بمن لم أره.

2- وقال ابن بطال: إنما بكى (ﷺ) عند تلاوته هذه الآية لأنه مَثَّل لنفسه أهوال يوم القيامة وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بالتصديق وسؤاله الشفاعة لأهل الموقف وهو أمر يحق له طول البكاء. ثم رجح من الأقوال والأفعال فقال:

3- والذي يظهر انه بكى رحمة لأمته ، لأنه علم أنه لابد أن يشهد عليهم بعملهم وعملهم قد لا يكون مستقيماً فقد يفضي إلى تعذيبهم والله أعلم) [49].

** وعن انس بن مالك (ﷺ) قال ، قال النبي (ﷺ) لأُبيّ: (إنّ الله أمرني أن أقرأ عليك) ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ البينة 1﴾ قال: وسمّاني ؟ قال: (نعم ، فبكى) [50].

قال ابن حجر: (بكى إمّا فرحاً وسروراً بذلك ، وإمّا خشوعاً وخوفاً من التقصير في شكر تلك النعمة ، وفي رواية الطبراني :قال: (نعم باسمك ونسبك في الملأ الأعلى) [51] ، قال القرطبي: (تعجبَّ أُبيّ من ذلك لأنّ تسمية الله له ونصه عليه ليقرأ عليه النبي (ﷺ) تشريف عظيم ، فلذلك بكى إمّا فرحاً وإمّا خشوعاً ، والمراد بالعرض على أُبيّ ليتعلم أُبيّ منه القراءة ويثبت فيها ، وليكون عرض القرآن سنّة ، وللتنبيه على فضيلة أُبيّ بن كعب وتقدمه في حفظ القرآن ، وليس المراد أن يستذكر منه النبي (ﷺ) شيئاً بذلك العرض ، ويؤخذ من هذا الحديث مشروعية التواضع في أخذ الإنسان العلم من أهله وإن كان دونه ، وقال القرطبي: خص هذه السورة بالذكر لما اشتملت عليه من التوحيد والرسالة والإخلاص والصحف والكتب المنزلة على الأنبياء وذكر الصلاة والزكاة والمعاد وبيان أهل الجنة والنار مع وجازتها) [52]. وقال النووي في شرح هذا الحديث: (وفي الحديث فوائد كثيرة منها: استحباب قراءة القرآن على الحُذّاق فيه وأهل العلم به والفضل وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه ومنها المنقبة الشريفة لأُبيّ بقراءة النبي (ﷺ) عليه ولا يعلم أحد من الناس شاركه في هذا. ومنها منقبة أخرى له بذكر الله تعالى له ونصه عليه في هذه المنزلة الرفيعة ومنها البكاء للسرور والفرح مما يبشر الإنسان به ويعطاه من الأمور)[53]. وقال ابن حجر: (وإنّ البكاء مستحب مع القراءة وعندها ، وطريقه في تحصيله أن يحصر قلبه الحزن بأن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد والمواثيق والعهود ثم يتأمل

تقصيره في ذلك ، فإن لم يحضره بكاء كما يحضر الخواص فليبك على فقدِ ذلك فإنه من أعظم المصائب) [54].

المطلب الثاني
البكاء عند ذكر الله تعالى

* قال رسول الله (ﷺ): (سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلاّ ظله .. وذكر منهم ... (ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) [55]. قال ابن حجر في شرحه: (أي فاضت الدموع من عيناه، وأسند الفيض إلى العين مبالغة وكأنها هي التي فاضت ، وفيض العين بحسب حال الذاكر وبحسب ما يكشف له ، ففي حال أوصاف الجلال يكون البكاء من خشية الله ، وفي حال أوصاف الجمال يكون البكاء من الشوق إليه. وقد خص في بعض الروايات الحالة الأولى (ففاضت عيناه من خشية الله)، وفي حديث أنس مرفوعاً: (من ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من خشية الله حتى يصيب الأرض من دموعه لم يعذب يوم القيامة) [56] . وقال النووي: (فيه فضيلة البكاء من خشية الله تعالى وفضل طاعة السر لكمال الإخلاص فيها) [57].

* وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): (لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضَّرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم) ، قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح) [58]. وقال المباركفوري: (يلج) من الولوج أي لا يدخل (رجل بكى من خشية الله) فإنّ الغالب من الخشية امتثال الطاعة واجتناب المعصية (حتى يعود اللبن في الضرع) هذا من باب التعليق بالمحال[59] كقوله تعالى: ﴿ گ گ گ گ ں ں ﴾(الأعراف: الآية: 40).

* وفي هذا المعنى جاء قوله (ﷺ): ((عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله)) ، قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وفي الباب عن عثمان وأبي ريحانة)[60] ، قال المباركفوري: (وهي مرتبة المجاهدين مع النفس التائبين عن المعصية سواء كان عالماً أو غير عالم) [61].

المطلب الثالث
بكاؤه (ﷺ) رحمة لأمته وشفقة بهم

1- عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه): أنّ النبي (ﷺ) تلا قول الله عز وجل في إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿إبراهيم 36﴾ . وقال تعالى على لسان عيسى عليه السلام ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ﴿118﴾ (المائدة: الآية: 118). فرفع يديه وقال: (اللهم ! أمتي أمتي) وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل ! اذهب إلى محمد وربك اعلم فسله ما يبكيك ؟ فاتاه جبريل عليه السلام فسأله، فاخبره رسول الله (ﷺ) بما قال ، وهو أعلم ، فقال الله عز وجل: (يا جبريل ! اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسؤك) [62]. قال النووي: (هذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد منها بيان كمال شفقة النبي (ﷺ) واعتنائه بمصالحهم واهتمامه بأمرهم. والحكمة من إرسال جبريل لسؤاله (ﷺ) إظهار شرف النبي (ﷺ) وأنه بالمحل الأعلى فيسترضى ويكرم بما يرضيه والله أعلم. وهذا الحديث موافق لقول الله عز وجل: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ الضحى 5﴾: وأمّا قوله تعالى (ولا نسؤك) هو تأكيد للمعنى أي لا نحزنك لأنّ الإرضاء قد يحصل في حق البعض بالعفو عنهم ويدخل الباقي النار فقال تعالى: نرضيك ولا ندخل عليك حزناً بل ننجي الجميع والله أعلم) [63].

وهذا الحديث يدل على مقدار ما كان عليه النبي (ﷺ) من الشفقة والرحمة بأمته وخوفه عليها من عذاب الله عز وجل وعقابه فهو كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة 128﴾ .

2- عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أنّ النبي (ﷺ) نعى زيداً وجعفر وابن رواحة قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: (أخذ الراية زيدٌ فأصيب ، ثم أخذ الراية جعفر فأصيب ، ثم أخذ الراية ابن رواحة فأصيب – وعيناه تذرفان– حتى أخذها سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم)[64].

3- بكاؤه (ﷺ) عند كسوف الشمس:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: انكسفت الشمس يوماً على عهد رسول الله (ﷺ)، فقام رسول الله (ﷺ) يصلي حتى لم يكد يركع ، ثم ركع ، فلم يكد يرفع رأسه ، ثم رفع رأسه ، فلم يكد أن يسجد، ثم سجد ، فلم يكد أن يرفع رأسه ثم رفع رأسه ، فلم يكد أن يسجد ، ثم سجد ، فلم يكد أن يرفع رأسه، فجعل ينفخ ويبكي ويقول: (رب ألَم تعدني أن لا تعذبهم وأنا فيهم ؟ رب ألَم تعدني أن لا تعذبهم وهم يستغفرون ؟ ونحن نستغفرك فلما صلى ركعتين انجلت الشمس فقام فحمد الله وأثنى عليه ... الحديث) [65] ، قال شمس الدين الحق الابادي: (وفي هذا جواز البكاء في الصلاة وإن ظهر منها حرفان وإباحة البكاء في الصلاة من خشية الله تعالى بدليل هذا الحديث) [66].

المطلب الرابع
بكاؤه (ﷺ) على من حضرته الوفاة فمن ذلك

1- عن أسامة بن زيد (ﷺ): أرسلت ابنة النبي (ﷺ) إليه: أنّ ابناً لنا قُبضَ، فأتِنا ، فأرسل يقرئ السلام ويقول: (إنّ لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب) فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها، فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت ورجال ، فرُفع إلى رسول الله (ﷺ) الصبيّ ونفسه تَقَعْقَعُ- قال حسبته ، قال: كأنها شَنّة -ففاضت عيناه- فقال سعد: يا رسول الله ما هذا ؟ فقال: (هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماءُ) [67]. قال النووي وهذا الحديث (من قواعد الإسلام المشتملة على جمل من أصول الدين وفروعه والآداب (ونفسه تقعقع كأنها في شنة) تقعقع: هو بفتح التاء والقافين والشنة: القربة البالية ومعناه لها صوت وحشرجة كصوت الماء إذا القي في القربة البالية (فقول سعد يا رسول الله ما هذا) معناه أنّ سعداً ظن أنّ جميع أنواع البكاء حرام وأنّ دمع العين حرام وظن أنّ النبي (ﷺ) نسي فذكره فاعلمه النبي (ﷺ) أنّ مجرد البكاء ودمع العين ليس بحرام ولا مكروه بل هو رحمة وفضيلة وإنما المحرم النوح والندب والبكاء المقرون بهما أو بأحدهما) [68]. وقال النووي في الأذكار (الرحماءُ) روي بالنصب وبالرفع ، فالنصب على أنه مفعول (يرحم) والرفع على أنه خبر (إنّ) وتكون (ما) يعني الذي) [69].

2- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: اشتكى سعد بن عبادة شكوى له ، فأتاه النبي (ﷺ) يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم ، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله فقال: (قد قضى) ، قالوا: لا يا رسول الله (فبكى النبي(ﷺ) فلما رأى القوم بكاء النبي (ﷺ) بكوا فقال: (ألا تسمعون ؟ إنّ الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا – وأشار إلى لسانه- أو يرحم ، وإنّ الميت يعذب ببكاء أهله عليه) [70]. قال النووي: (وجده في غشية) بفتح الغين وكسر الشين وتشديد الياء وفيه قولان: (أحدهما من يغشاه أهله والثاني ما يغشاه من كرب الموت ومن فوائد الحديث استحباب عيادة المريض وعيادة الفاضل المفضول وعيادة الإمام والقاضي والعالم أتباعه) [71]. قال ابن حجر: (بأنّ مجرد البكاء بدمع العين من غير زيادة على ذلك لا يضر)[72].

3- عن أنس بن مالك رضي الله عنه شهدنا بنتاً لرسول الله (ﷺ) ، قال: ورسول الله (ﷺ) جالس على القبر ، قال فرأيت عيناه تدمعان ، قال: فقال: (هل منكم رجل لم يقارف الليلة؟) فقال أبو

طلحة: أنا ، قال: (فانزل). قال فنزل في قبرها) [73]. قال ابن حجر العسقلاني: (وأنّ لفظ المقارفة في الحديث أُريد به ما هو أخص من ذلك وهو الجماع) [74].

4- عن عائشة رضي الله عنها: (إنّ رسول الله (ﷺ) قَبَّلَ عثمان بن مظعون وهو ميت ، وهو يبكي ، أو قال: عيناه تهرقان) ، قال الترمذي حديث عائشة حسن صحيح) [75]. وفيه جواز تقبيل الميت.

5- عن أنس بن مالك رضي الله عنه دخلنا مع رسول الله (ﷺ) على أبي السيف القين – وكان ظئراً لإبراهيم عليه السلام فأخذ رسول الله (ﷺ) إبراهيم فقبَّلهُ وشمَّهُ. ثم دخلنا عليه بعد ذلك – وإبراهيم يجود بنفسه– فجعلت عينا رسول الله (ﷺ) تذرفان ، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله ؟ فقال: (يا بن عوف ! إنها رحمة) ثم اتبعها بأخرى فقال: (إنّ العين تدمع ، والقلب يحزن ولا نقول إلاّ ما يرضي ربنا ، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون) [76]. قال ابن حجر العسقلاني: (هذا الحديث يفسر البكاء المباح والحزن الجائز وهو ما كان بدمع العين ورقة القلب من غير سخط الله لأمر الله وهو أبين شيء وقع في هذا المعنى ، وجواز الأخبار عن الحزن وإن كان الكتمان أولى) [77].

وإلى غير ذلك من الأحاديث النبوية التي تثبت بكاء النبي (ﷺ) فمن ذلك:

6- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (زار النبي (ﷺ) قبر أمه فبكى وأبكى من حوله)[78].

7- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنّ النبي (ﷺ) كان ليلة بدر قائماً يصلي يدعوا ربه ويبكي ويكثر الابتهال والتضرع أن ينصر الله المؤمنين ويحكي تلك الواقعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيقول: (ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ، ولقد رايتنا وما فينا قائم إلاّ رسول الله (ﷺ) تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح) [79].

المطلب الخامس
بكاؤه (ﷺ) في الصلاة من خشية الله وحكم صلاة من بكى في الصلاة وأقوال الفقهاء في ذلك

1- عن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال: (رأيت رسول الله (ﷺ) يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحى (المرجل) من البكاء ، قال عبد الله لم يقلل من البكاء إلاّ يزيد) [80].

قال شمس الدين الحق: (وفي صدره (أزيز) أي صوت (كأزيز الرحى) يعني الطاحون وفي رواية النسائي بلفظ كأزيز المرجل بكسر الميم وسكون الراء وفتح الجيم قِدر من نحاس وقد يطلق على قِدر يطبخ فيها ولعله المراد في الحديث صوت غليانه ومنه الأز وهو الإزعاج) [81].

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: (أنّ رسول الله (ﷺ) قال في مرضه: (مروا أبا بكر فليصل بالناس) قالت: قلت أنّ أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء)[82].

حكم البكاء في الصلاة من خشية الله وأقوال الفقهاء في ذلك

اتفق الفقهاء على جواز البكاء في الصلاة إن كان ذلك من خشية الله تعالى.

قال ابن الهمام من الحنفية: (باب البكاء في الصلاة قال أبو حنيفة وأصحابه إن كان من خوف الله لم يقطعها) [83] ، وقال الكاساني: (في حديثه عن قوله تعالى: ﴿ ﴾ (سورة هود: 75) . (لأنه كان كثير التأوه في الصلاة ، وكان لجوف رسول الله (ﷺ) كأزيز المرجل وإذا كان كذلك فالصوت المنبعث عن مثل هذا الأنين لا يكون من كلام الناس فلا يكون مفسداً ولأنّ التأوه والبكاء من ذكر الجنة والنار يكون بمنزلة التصريح بمسألة الجنة والتعوذ من النار وذلك غير مفسد) [84].

وقال العيني في شرحه لهذا الحديث وهو يعدد فوائده وفي إمامة أبي بكر رضي الله عنه: العاشر: (البكاء في الصلاة لا يبطلها وإن كثر وذلك لأنه (ﷺ) علم حال أبي بكر في رقة القلب وكثرة البكاء ولم يعدل عنه ولا نهاه عن البكاء) [85].

قال ابن عبد البر من المالكية: (قولها إنّ أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء ففيه دليل على أنّ البكاء في الصلاة لا يقطعها ولا يضرها إذا كان من خوف الله أو على مصيبة في دين الله) [86]. وقال القرطبي: (دليل على جواز البكاء في الصلاة من خوف الله تعالى أو على معصية في دين الله وأنّ ذلك لا يقطعها ولا يضرها) [87].

وقال ابن قدامة من الحنابلة: (فأما البكاء والتأوه والأنين فما كان مغلوباً عليه لم يؤثر واستشهد بحديث مطرف كأزيز المرجل ، وحديث عبد الله بن شداد سمعت نشيج عمر وأنا في آخر الصفوف) [88]. وقال النووي من الشافعية: (باب لا تبطل الصلاة بالبكاء والنفخ إذا كان بالفم وقال في شرحه لهذا الحديث: وهو كونه رقيق القلب كثير البكاء فخشي إن لا يسمع الناس) [89].

وقال الشوكاني: (باب البكاء في الصلاة من خشية الله تعالى وفي حديث لصدره كأزيز المرجل

دليل على أنّ البكاء لا يبطل الصلاة. وفي حديث عمر رضي الله صلى الصبح وقرأ سورة يوسف فسمع نشيجه استدل على جواز البكاء في الصلاة ، وكذلك حديث أبو بكر رضي الله عنه استدل المصنف ها هنا على جواز البكاء في الصلاة ووجه الاستدلال أنّ النبي لما صمم على استخلاف أبي بكر بعد أن أخبر أنه إذا قرأ غلبة البكاء دَلَّ ذلك على الجواز. وفيه أنّ البكاء ولو كثر لا يبطل الصلاة لأنه بعد أن علم حال أبي بكر في رقة القلب وكثرة البكاء لم يعدل عنه ، ولا نهاه عن البكاء)[90]. وقال ابن حزم الظاهري: (مسألة ومن بكى في الصلاة من خشية الله تعالى يمكنه رد البكاء فلا شيء عليه ولا سجود سهو ولا غيره) [91].

المبحث الثالث
البكاء المذموم (المكروه والمحرم)
وفيه أربعة مطالب

تكلمنا في المبحث السابق عن حالات البكاء الجائز ، فقد ذكرنا الأحاديث والأحكام المتعلقة به والبكاء الصادر من خشية الله تعالى في الصلاة أو تلاوة القرآن أو البكاء من باب الرحمة والشفقة. وفي هذا المبحث نسلط الضوء على الأحكام التي تترتب على البكاء المذموم.

المطلب الأول
البكاء في الصلاة من غير خشية الله تعالى
وأقوال الفقهاء في ذلك

إذا كان البكاء في الصلاة من غير خشية الله تعالى مفسد ومبطل للصلاة: فقد قال ابن الهمام من الحنفية بعد أن ذكر جواز البكاء من خشية الله تعالى قال: (وإن كان من وجع قطعها)[92] وقال الكاساني: (من وجع أو مصيبة كان من كلام الناس وكلام الناس مفسد) [32]. وقال العيني: (بعد أن ذكر جواز البكاء في إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، قال: وإن كان من وجع في بدنه أو مصيبة في ماله أو أهله قطعها) [94].

وقال النووي والرملي من الشافعية: (بأنّ التنحنح والضحك والبكاء والأنين إن ظهر بكل من ذلك حرفان فضابط إبطال هذه الأمور الأربعة للصلاة أن يظهر فيه حرفان وإن لم يكونا مفهومين)[95].

وقال ابن قدامة من الحنابلة: (فأما البكاء والتأوه والأنين الذي ينتظم منه حرفان وما كان من غير غلبة فإن كان لغير خوف الله أفسد الصلاة ، ثم قال: ولم أرَ عن أحمد في التأوه شيئاً ولا في الأنين والأشبه

بأصولنا أنه متى فعله مختاراً أفسد صلاته والإجماع والنصوص العامة تمنع من الكلام كله ولم يرد في التأوه والأنين ما يخصهما ويخرجهما من العموم) [96]. وقال ابن حزم الظاهري: (فلو تعمد البكاء عمداً بطلت صلاته وأما تعمد البكاء فعمل لم يأت بإباحته نص أو إجماع) [97].

المطلب الثاني
البكاء على الميت وحكم النياحة وأقوال الفقهاء في ذلك

ذكرنا في باب الجواز في البكاء على الميت أنّ دمع العين وحزن القلب من الفطرة البشرية وأنه لا مؤاخذة عليه ، أما المذموم في ذلك ما كان صادراً من اللسان والمؤاخذة عليه من كلام أو نياحة أو اعتراض على حكم الله عز وجل ، ولذلك وضع علماء الحديث الشريف وأصحاب الصحاح والسنن عناوين في كتبهم بهذا ، كالإمام البخاري في كتاب الجنائز باب ما ينهى عن النوح والبكاء والزجر عن ذلك وكذلك باب يعذب الميت ببكاء أهله عليه وباب ما ينهى من الويل وباب ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية ، وفي صحيح مسلم كتاب الجنائز باب التشديد في النياحة ، وفي سنن أبي عيسى الترمذي كتاب الجنائز باب ما جاء في كراهية النوح وباب ما جاء في النهي عن ضرب الخدود وشق الجيوب ، وسنن أبي داؤد كتاب الجنائز باب في النوح ، وإلى غير ذلك من كتب السنن التي أثبتت عناوين في المحرم من البكاء. ومن هذه الروايات:

1- روى البخاري في كتاب الجنائز باب قول النبي (يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه) إذا كان النوح من سنته عن أبي بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله (ﷺ) : (إن الميت يعذَّب ببعض بكاء أهله عليه) [98]. قال ابن حجر : (رواية ابن عباس بأنه النوح ويؤيده أن المحذور بعض البكاء لا جميعه ، ثم قال: .. وأما تعبير المصنف بالنوح فمراده ما كان من البكاء بصياح وعويل ، وما يلتحق بذلك من لطم خد وشق جيب وغير ذلك من المنهيات. ثم قال: إن الذي يعذب ببعض بكاء أهله من كان راضياً بذلك بأن تكون تلك طريقته ، ولذلك قال المصنف (فإذا لم يكن من سنته) أي كمن كان لا شعور عنده بأنهم يفعلون شيئاً من ذلك أو أدى ما عليه بأن نهاهم فهذا لا مؤاخذة عليه بفعل غيره ، ومن ثم قال ابن المبارك: إذا كان ينهاهم في حياته ففعلوا شيئاً من ذلك بعد وفاته لم يكن عليه بشيء) [99]. قال النووي رحمه الله: قوله (ﷺ) (إنّ الميت ليعذب ببكاء أهله عليه) وفي رواية (ببعض بكاء أهله عليه) وفي رواية (يعذب في قبره بما نيح عليه) وفي رواية (من يُبكَ عليه يعذب) وهذه الروايات من رواية عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما ، وأنكرت عائشة رضي الله عنها ونسبتها إلى النسيان

والاشتباه عليهما وأنكرت أن يكون النبي (ﷺ) قال ذلك واحتجت بقوله تعالى ﴿ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې﴾ (فاطر: الآية:18) قالت: وإنما قال النبي (ﷺ) في يهودية أنها تعذب وهم يبكون عليها يعني تعذيب بكفرها في حال بكاء أهلها لا بسبب البكاء ، واختلف العلماء في هذه الأحاديث فتأولها الجمهور على من وصى بأن يُبكى عليه ويناح بعد موته فنفذت وصيته فهذا يعذب ببكاء أهله عليه ونوحهم لأنه بسببه ومنسوب إليه.

قالوا فأما من بكى عليه أهله وناحوا من غير وصية منه فلا يعذب لقول الله تعالى: ﴿ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې﴾ (فاطر: الآية: 18) ، قالوا وكان من عادة العرب. قالوا فخرج الحديث مطلقاً حملاً على ما كان معتاداً لهم ، وقالت طائفة هو محمول على من أوصى بالبكاء والنوح أو لم يوصِ بتركها ، فأما من وّصى بتركهما فلا يعذب بهما إذ لا صنع له فيهما ولا تفريط منه وحاصل هذا القول إيجاب الوصية بتركهما ومن أهملهما عذب بهما ، وقالت طائفة معنى الأحاديث أنهم كانوا ينوحون على الميت ويندبونه بتعديد شمائله ومحاسنه في زعمهم وتلك الشمائل قبائح في الشرع يعذب بها كما كانوا يقولون: يا مؤيد النسوان ومؤتم الولدان ومخرب العمران ومفرق الأخدان ونحو ذلك مما يرونه شجاعة وفخراً وهو حرام شرعاً. وقالت طائفة معناه أنه يعذب بسماعه بكاء أهله ويَرِقُ لهم واحتجوا بحديث فيه أنّ النبي (ﷺ) زجر امرأة عن البكاء على أبيها وقال: (إنّ أحدكم إذا بكى استعبر له صويحبه فيا عباد الله لا تعذبوا إخوانكم) ، وقالت عائشة رضي الله عنها معنى الحديث : (إنّ الكافر أو غيره من أصحاب الذنوب يعذب في حال بكاء أهله عليه بذنبه لا ببكائهم ، والصحيح من هذه الأقوال هو قول الجمهور واجمعوا كلهم على اختلاف مذاهبهم على أنّ المراد بالبكاء هنا البكاء بصوت ونياحة لا مجرد دمع العين)[100].

وأما البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة ، فليس بحرام ثم قال النووي في الأذكار: وأما الأحاديث الصحيحة: (إنّ الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، فليست على ظاهرها وإطلاقها، بل هي مؤولة واختلف العلماء في تأويلها على أقوال أظهرها –والله اعلم– أنها محمولة على أن يكون له سبب في البكاء ، إما بأن يكون أوصاهم به ، أو غير ذلك) [101].

وقال ابن حجر: (تعبير المصنف بالنوح فمراده ما كان من البكاء بصياح وعويل ، وما يلتحق بذلك من لطم خد وشق جيب وغير ذلك من المنهيات ، ثم ذكر المقصود بالتعذيب. ثم قال بعد ذلك: فالمعنى أنّ الذي يعذب ببعض بكاء أهله متى كان راضياً بذلك بأن تكون تلك طريقته ، قال المصنف

(فإن لم يكن من سنته) أي كمن لا شعور عنده بأنهم يفعلون شيئاً من ذلك ، أو أدى ما عليه بأن نهاهم فهذا لا مؤاخذة عليه بفعل غيره ، إذا كان ينهاهم في حياته ففعلوا شيئاً من ذلك بعد وفاته لم يكن عليه شيء)[102].

2- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أنّ رسول الله (ﷺ): (بريء من الصالقة والحالقة والشاقة) [103]. قال النووي: (قلت: الصالقة (التي ترفع صوتها بالنياحة) والحالقة (التي تحلق شعرها عند المصيبة) والشاقة (التي تشق ثيابها عند المصيبة) وكل هذا حرام باتفاق العلماء ، وكذلك يحرم نشر الشعر ولطم الخدود وخمش الوجوه والدعاء بالويل والثبور وكلها محرمة باتفاق الأصحاب وصرح الجمهور بالتحريم ، وعن أم عطية رضي الله عنها قالت: (اخذ علينا رسول الله (ﷺ) في البيعة أن لا ننوح) [104]. وقال إمام الحرمين رحمه الله: (ورفع الصوت بإفراط في معنى شق الجيب إذا كان مختاراً فإن كان مغلوباً لم يؤاخذ به لأنه غير مكلف) [105]. وذكر ابن حجر أنه وقع في بعض الروايات (إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين ، صوت عند نغمة لهو ولعب ومزامير الشيطان وصوت عند مصيبة خمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان) [106].

وقال النووي في شرحه لصحيح مسلم في قوله (ﷺ): (النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جَرَب) [107]. وفيه دليل على تحريم النياح وهو مجمع عليه وفيه صحة التوبة مالم يمت المكلف ولم يصل إلى الغرغرة [108].

3- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) (اثنتان في الناس هما بهم كفر ، الطعن في النسب والنياحة على الميت) [109]. قال النووي: (واعلم أنّ النياحة رفع الصوت بالندب ، والندب تعديد النادبة بصوتها محاسن الميت ، وقيل هو البكاء عليه مع تعديد محاسنه، قال أصحابنا: ويحرم رفع الصوت بإفراط في البكاء وأما البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة فليس بحرام) [110].

4- عن مسروق عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبي (ﷺ) (ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية) [111].

5- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما جاء النبي (ﷺ) قتل ابن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة جلس يُعرَفُ فيه الحزن وأنا انظر من صائر الباب -شق الباب- فاتاه رجل فقال: إنّ نساء جعفر – وذكر بكاءهن- فأمره (أن ينهاهن فذهب ثم أتاه الثانية لم يُطِعنَهُ فقال: انهَهُنَّ) ، فاتاه الثالثة قال: والله غَلَبننا يا رسول الله ، فزعمت أنه قال: (فاحْثُ في أفواههن التراب فقلت: أرغم الله انفك

، لم تفعل ما أمرك رسول الله (ﷺ) ولم تترك رسول الله (ﷺ) من العناء) [112]. قال ابن حجر العسقلاني: (من الفقه أنّ الاعتدال في الأحوال هو المسلك الاقوم فمن أصيب بمصيبة عظيمة لا يفرط في الحزن حتى يقع في المحذور من اللطم والشق والنوح وغيرها ، ولا يفرط في التجلد حتى يفضي إلى القسوة والاستخفاف بقدر المصاب، فيقتدى به (ﷺ) في تلك الحالة بأن يجلس المصاب جلسة خفيفة بوقار وسكينة تظهر عليه مخايل الحزن ويؤذن بأنّ المصيبة عظيمة. ثم قال في شرح حديث بكاء النساء: الظاهر أنه كان في بكائهن زيادة على القدر المباح فيكون النهي للتحريم بدليل أنه كرره وبالغ فيه وأمر بعقوبتهن إن لم يسكتن ، ويحتمل أن يكون بكاءً مجرداً والنهي للتنزيه ، ولو كان للتحريم لمنعهن لأنه لم يقر على باطل ، ويبعد تمادي الصحابيات بعد تكرار النهي على فعل الأمر المحرم ، وفائدة نهيهن عن الأمر المباح خشية أن يسترسلن فيه فيفضي بهن إلى الأمر المحرم لضعف صبرهن، فيستفاد منه جواز النهي عن المباح عند خشية إفضائه إلى ما يحرم) [113].

المطلب الثالث

الفوائد الشرعية للبكاء ومصير الباكين

من خلال الوقوف على المصادر وتتبع سير الصالحين من الفقهاء والمفسرين والمحدثين الباكين من خشية الله نجد أنهم اشتركوا في صفة واحدة على تنوع عبادتهم واجتهاداتهم في طاعة الله تلك الصفة هي الإخلاص المنافي للرياء ، فلقد كانوا رضي الله عنهم أبعد الناس عن أن يراهم أحد حال البكاء حرصاً منهم أن لا يدخل العُجْب قلوبهم فتبطل عبادتهم وتراهم شددوا بلسان الحال والمقال على هذه الصفة ابتغاء نيل الأجر كاملاً غير منقوص من رب العالمين لا من مدح المادحين. ذلك والله هو الإيمان الصادق الذي ليس بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلب وصدَّقه العمل وهؤلاء هم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وإن لم يكن هؤلاء أولياء الله فليس لله ولي. ذلك الإيمان تجسد في هؤلاء الصالحين في أحسن صورة فكوَّنوا به أطهر حضارة على وجه الأرض وحملوه إلى كل الآفاق ونشروا كلمة التوحيد. ومن خلال متابعة النصوص الشريفة في القرآن والسنّة تبين لنا فوائد ومصير الباكين فمن ذلك:

1- الباكون من خشية الله يحظون بالاقتداء بالأنبياء عليهم السلام الذين انعم الله عليهم.

2- الباكون من خشية الله يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلاّ ظله.

2- الباكون من خشية الله لا يدخلون النار بل ولا تمسهم.

4- الباكون من خشية الله يفوزون بحب الله تعالى ، قال رسول الله (ﷺ): (ليس شيء أحب إلى الله تعالى من قطرتين وأثرين قطرة من دموع خشية الله ... الحديث ، قال الترمذي حديث حسن غريب)[114].

5- الباكون من خشية الله يفوزون بشجرة طوبى في الجنة ، قال رسول الله (ﷺ): (طوبى لمن ملك لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته)[115] ، قال السيوطي حديث حسن.[116].

6- الباكون من خشية الله يفوزون بكونهم طائعين للنبي (ﷺ) قال: (امسك عليك لسانك وليَسَعْكَ بيتُك وابك على خطيئتك) ، قال الترمذي هذا حديث حسن [117]. وإلى غير ذلك من الفوائد.

المطلب الرابع

الفوائد الصحية للبكاء وموقف الطب من ذلك

لقد اثبت العلم الحديث للبكاء فوائد منها:

1- البكاء يحدث نتيجة شحن العواطف بالانفعالات النفسية فتعمل على حث المراكز السمبثاوية بالجهاز العصبي ، فترسل إشارات للغدد الدمعية بالتحضير والانقباض وارتخاء القنوات الدمعية ، فتندفع الدموع خارج العين فتغسلها وتنقيها تماماً من أية ميكروبات أو إفرازات أخرى.

2- بعض الدموع يصل للأنف عن طريق قناة توصل بينهما مما يساعد على تطهير الأنف ونزول السائل منها ، فالسائل الدمعي يحتوي على سائل نقي به بعض الأملاح والمواد التي تفرز من الغدد الدمعية ، لذا فهو ذو طعم ملحي قليل ، مما يساعده على تعقيم العين والملتحمة. والإنسان بعد البكاء يهدأ ويطمئن قلبه ونفسه ، فالبكاء هو المخرج الأفضل لكل التوترات النفسية والانفعالات ، لأنه لو أخفى الإنسان هذه التغيرات النفسية والعصبية بداعٍ من الرجولة والخوف من الضعف أمام الآخرين، أو الشعور بالانهزامية ، وهنا تكمن الخطورة حيث سيعاني من:

أ- اضطرابات نفسية وعصبية.

ب- ارتفاع ضغط الدم ، نتيجة التوتر العصبي والقلق النفسي.

ج- يمكن أن يصاب بمرض السكر نتيجة للضغوط النفسية المتكررة بدون تنفيس عن ذلك بشيء كالبكاء.

د- كثيراً ما يؤدي ذلك إلى أمراض القولون العصبي والتهابه ، وقرحة المعدة.

قال الدكتور عدنان فضلي استشاري الطب النفسي: (نعم ، نحن ننصح المريض أو أي فرد يتعرض لمواقف محزنة أو مؤلمة ، أن يعبر عن شعوره بالبكاء ، فمن خلال البكاء يخلص العيون من السموم ، ويساعد أيضاً البدن على طرح سمومه ، وبالتالي تحصل راحة النفس ، قال: فمن خلال البكاء يشعر الإنسان بالارتياح من ثقل التعب ، والكبت قد يؤدي إلى نتائج وخيمة، والمصابون بالاكتئاب هم أكثر الناس عرضة للبكاء حيث يجد المريض متنفساً لهمومه.

ثم ذكر قولاً لأحد الأطباء النفسانيين: إنّ الدموع التي لا تجد لها منفذاً من العيون تجعل الأحشاء تبكي) [118].

الخاتمة واستنتاجات البحث

بعد أن انتهينا من كتابة هذا البحث المتواضع تبين لنا بعض النتائج يمكن أن ندرجها:

1- البكاء أقسام وأنواع فمنها بكاء الرحمة والخشية ، والفرح والجزع ، والخور والنفاق.

2- يأخذ البكاء اتجاهين فمحمود أو هو مذموم.

3- ذكر البكاء في القرآن في سبعة مواضع فمنها في باب خشية الله وسماع آياته أو في بيان التهكم من موقف المنافقين والكافرين ومنها في بيان قدرة الله تعالى الإبكاء والضحك ، أو كشف وبيان موقف اتخاذ البكاء ذريعة للدفاع عن النفس.

4- أوردت السنّة النبوية أنواع عديدة كالبكاء الذي ورد عنه (ﷺ) عند سماع القرآن أو بكائه لأمته رحمة بهم أو لمن استشهد أو مات من صحابته أو عند من حضرته الوفاة كبكائه على ابنه إبراهيم أو زيارة قبر أمه وبكائه في الصلاة من خشية الله.

5- إذا كان البكاء من خشية الله لا يبطل الصلاة وإذا كان من مصيبة أو وجع فإنه يبطل الصلاة.

6- إنّ البكاء في المصيبة أو الموت جائز فالدموع رحمة ، ويكون محرماً إذا كان فيه عويل وصراخ واعتراض على قضاء الله وقدره.

7- للبكاء من الناحية الصحية تأثيراً نافعاً في غسل العين وتنقيتها وعلاجها من الأمراض.

8- إنّ كتمان البكاء يؤدي إلى حدوث اضطرابات نفسية وتوترات عصبية وارتفاع في ضغط الدم والإصابة بمرض السكري ، فالبكاء راحة للنفس وتفريغ للشحنات السلبية الناجمة عن الاضطرابات العصبية.

9- البكاء حالة انفعالية يتساوى في التعبير عنها الرجال والنساء الصغير والكبار ، في السر والعلانية في الفرح والحزن ، أطلقها الشرع قرآناً سنّة ليكون المؤمن في صحة نفسية دائمة وتوافق مع الذات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد وعلى اله وصحبه أجمعين.

مصادر البحث و هوامشه

1- الفيروزابادي ، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي ، القاموس المحيط ، بيت الأفكار الدولية ، بيروت ، حرف الباء ، مادة بكى ، ص 160 .

2- ابن منظور ، أبي الفضل محمد بن مكرم ، لسان العرب ، تحقيق: عامر أحمد ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1 ، 1426هـ - 2005م ، مادة بكى ، 77/8 .

3- أبو عزيز ، الدكتور سعيد يوسف ، صحيح وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم ، المكتبة التوفيقية، القاهرة ، الوصية السادسة والثلاثون بعد المائة ، فضل البكاء من خشية الله ، 79/3 .

4- مصطفى ، أحمد ، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن والسنّة ، دار ابن الجوزي ، ط1، 1426 هـ - 2005م ، ص 924 .

5- الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك ، فقه اللغة وسر العربية ، حققه: حمد وطمّاس ، دار المعرفة، بيروت، ط1 ، 2004 م - 1425 هـ ، ص 146-147 .

6- صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، رقم الحديث (4687).

7- ابن قيم الجوزية ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ، زاد المعاد في هدي خير العباد، دار التوزيع والنشر الإسلامي ، المكتبة القيمة ، 44/1 .

8- عبد الباقي ، محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار طباعة آوند دانش، طهران ، د. ت، مادة بكى ، باب الباء ، ص 184 .

9- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، جامع البيان في تفسير القرآن ،/ دار المعرفة، بيروت ، ج 15 و 16 ، ص 121 ، تفسير سورة الإسراء.

10- القرطبي ، أبي عبد الله محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1416 هـ - 1990م ، 342/7 .

11- البروسوي ، إسماعيل حقي ، تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ، تحقيق: الدكتور محمد علي الصابوني، ط1 ، 1408 هـ - 1988م ، دار الصابوني ، 17/2 .

12- الحجازي ، محمد محمود ، التفسير الواضح ، مطبعة الاستقلال ، القاهرة ، ط4 ، 1388 هـ - 1968م، 45/2 .

13- قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت ، ط1 ، 1972م ، 2254/4.

14- الترمذي ، كتاب فضائل الجهاد ، باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله ، رقم الحديث (1683)، والنسائي ، كتاب الجهاد ، باب (8) رقم الحديث (3108).

15- الرازي ، فخر الدين ضياء الدين عمر ، تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير ومفاتح الغيب، دار الفكر ، بيروت ، ط3 ، سنة 1985 ، ج 21 ، 235 .

16- القرطبي ، 120/11 .

17- الحجازي ، 27/2 .

18- سيد قطب ، 2314/4 .

19- صحيح البخاري مطبوع مع شرحه فتح الباري ، كتاب التفسير ، تفسير سورة المائدة، رقم الحديث (4621). وسنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب ما جاء في فضل البكاء من خشية الله، رقم (2311).

20- القرطبي ، 217/7 .

21- العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار السلام، الرياض ، دار الفيحاء ، دمشق ، ط3 ، 1421 هـ - 2000م ، كتاب التفسير، تفسير سورة المائدة ، 356/8 ، رقم الحديث (4621).

22- ابن باز والعثيمين ، عبد العزيز بن عبد الله ومحمد بن صالح ، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للإمام النووي ، خرّج أحاديثه: أبو يعقوب نشأت المصري ، دار ابن الجوزي ، القاهرة، ط1، 1407 هـ - 2006م ، 205/2 .

23- المباركفوري ، أبو العلى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم ، تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، خرّج أحاديثه: رائد صبري ، بيت الأفكار الدولية، بيروت، 1848/2.

24- ابن كثير ، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ، تفسير القرآن العظيم ، قدم له: عبد القادر أرناؤوط ، دار السلام الفياض ، دار الفيحاء ، دمشق ، ط2 ، 1418 هـ - 1998م، 498/2 . وينظر: الطبري، 140/9.

25- البروسوي ، تنوير الأذهان ، 91/2 .

26- الطبري ، 48/24 .

27- الحجازي ، التفسير الواضح ، 113/4 .

28- الصابوني ، الدكتور محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، الأفق للطباعة ، بيروت، دار إحياء التراث ، ط1 ، 1425 هـ - 2004 م ، 242/3 .

29- ابن باز والعثيمين ، شرح رياض الصالحين ، 204/2 .

30- مسلم، الصحيح ، كتاب الإيمان، باب بيان أنّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود، رقم (146).

31- الطبري، 25 / 74-75. وينظر: القرطبي، 15/ 140.

32- ابن كثير ، 4/ 181-182 . وينظر: القرطبي، 140/15-141 .

33- البروسوي ، تنوير الأذهان ، 33/4 .

34- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 3214/5 .

35- الطبري ، 27 / 44 ، وينظر: ابن كثير ، 331/4 .

36- البروسوي ، تنوير الأذهان ، 4/ 185 .

37- القرطبي ، 9/ 145 .

38- الصابوني ، صفوة التفاسير ، 40/2 .

39- البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل / الجامع الصحيح المختصر/ تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار النشر ابن كثير ، بيروت ، ط3، 1407هـ / 1987م .
40- مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ، الجامع الصحيح ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .
41- الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، سنن الترمذي، حقق أصوله وخرَّج أحاديثه: الشيخ خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، ط1 ، 1423هـ/2002م.
42- أبو داؤد ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني ، سنن أبي داؤد ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت .
43- النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ، المجتبى من السنن ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار النشر مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط2 ، 1406هـ/1986م .
44- ابن ماجة ، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني ، سنن ابن ماجة ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت، د.ت.
45- النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف ، رياض الصالحين ، دار السلام ، القاهرة ، ط1، 1423 هـ - 2003م ، ص 141-142 .
46- البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب البكاء عند قراءة القرآن ، رقم 5055 ؛ صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل استماع القرآن والبكاء عند القراءة ، رقم (247 و 248).
47- النووي ، يحيى بن شرف ، التبيان في آداب حملة القرآن ، تحقيق: أحمد عدنان صالح ، مطبعة أسعد ، بغداد ، 1989، ص 67. وينظر: المجموع للنووي، 2 /187.
48- النووي ، شرح صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل استماع القرآن والبكاء، 335/5 .
49- العسقلاني، كتاب فضائل القرآن ، باب البكاء عند قراءة القرآن ، 124/9 .
50- البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب مناقب أُبي بن كعب رضي الله عنه ، رقم الحديث (3595) ، وصحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه ، رقم (245 و 246).
51- العسقلاني ، فتح الباري ، الكتاب والباب السابقين ، 161/7 .
52- القرطبي ، 139/20 .
53- النووي ، شرح صحيح مسلم ، 333/5 .
54- العسقلاني ، فتح الباري ، باب البكاء عند قراءة القرآن ، 123/9 .
55- البخاري ، كتاب الزكاة ، باب الصدقة باليمين رقم (1357). وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب فضل إخفاء الصدقة ، رقم (1031).

56- العسقلاني ، فتح الباري ، 192/2 .
57- النووي ، شرح صحيح مسلم ، 120/7 .
58- الترمذي ، أبو عيسى بن سورة ، سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، (8) باب ما جاء في فضل البكاء من خشية الله تعالى ، رقم (2312).
59- المباركفوري ، تحفة الأحوذي ، 1847/2 .
60- سنن الترمذي ، كتاب فضائل الجهاد ، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله ، رقم (1639) .
61- المباركفوري ، تحفة الأحوذي: 155/2 .
62- صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمته وبكائه شفقة لهم، رقم (346).
63- النووي ، شرح صحيح مسلم ، 113/19.
64- البخاري: كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب خالد بن الوليد رضي الله عنه ، رقم (3547).
65- النسائي ، كتاب كسوف الشمس والقمر ، رقم (1867). وسنن أبي داؤد ، (1194) و (1079).
66- أبو الطيب ، شمس الدين الحق العظيم أبادي ، عون المعبود شرح سنن أبي داؤد، إشراف: صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، 1420 هـ - 2000م ، 128/3 ، كتاب الصلاة ، باب البكاء في الصلاة ، 128/3 .
67- البخاري، كتاب الجنائز، باب (32) قول النبي (ﷺ) (يعذب الميت ببعض بكاء أهله...) رقم (1284). ومسلم ، كتاب الجنائز ، (6) باب البكاء على الميت ، رقم (923).
68- النووي ، شرح صحيح مسلم ، الكتاب والباب السابقين ، 480/5 .
69- النووي ، الأذكار ، ص 132 .
70- البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، (44) باب البكاء عند المريض ، رقم (1304). مسلم، كتاب الجنائز ، (6) باب البكاء على الميت ، رقم الحديث (924).
71- النووي ، شرح صحيح مسلم ، 480/5-481 .
72- العسقلاني ، 224/3-225 .
73- البخاري ، كتاب الجنائز ، باب (71) من يدخل قبر المرأة ، رقم (1342).
74- العسقلاني ، فتح الباري ، 266/3 .
75- الترمذي، سنن الترمذي، ما جاء في تقبيل الميت، باب الصبر عند الصدمة الأولى ، رقم (994).

76- البخاري، كتاب الجنائز، (43) باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (إنا بك لمحزونون)، رقم الحديث (1303).

77- العسقلاني ، كتاب الجنائز ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (إنا بك لمحزونون)، 223/3 .

78- مسلم، كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي ربه عز وجل في زيارة قبر أمه رقم (976) .

79- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أحمد بن حنبل الشيباني ، دار النشر: مؤسسة قرطبة ، مصر، رقم الحديث (1023) 125/1 .

80- سنن أبي داؤد ، كتاب الصلاة ، باب البكاء في الصلاة ، رقم (199).

81- آبادي ، أبو الطيب ، عون المعبود شرح سنن أبي داؤد ، 128/3.

82- البخاري ، كتاب الأذان ، باب حد المريض أن يشهد الجماعة ، رقم الحديث (664) ، مسلم ، كتاب الصلاة ، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر ، رقم (968).

83- ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد، شرح فتح القدير، علق عليه وخرّج أحاديثه: عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1424هـ/2003م، 407/1 .

84- الكاساني: علاء الدين أبو بكر بن مسعود ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد عوض وعادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2 ، 1424هـ/2003م : 128/2-129 .

85- العيني ، بدر الدين العيني الحنفي ، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، 208/10 .

86- ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النميري ، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، 1387هـ ، 134/22، وينظر: المؤلف نفسه: الاستذكار لمذهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الآثار ، تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 1421هـ/ 2000م: 355/2.

87- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، 342/7 .

88- ابن قدامة، موفق الدين أبي محمد عبد الله بن محمد المقدسي، المغني في الفقه الحنبلي، تحقيق: د. محمد شرف الدين خطاب وآخرون، دار الحديث، القاهرة، 1425هـ/2004م: 246/2-247.

89- النووي ، أبو زكريا محي الدين بن شرف ، خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام ، حققه وخرج أحاديثه: حسين إسماعيل الجمل ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1 ، 1418هـ /1997م: 497/1 ، وينظر: الرملي ، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن

حمزة بن شهاب الدين ، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط1 ، 1426هـ/2005م: 2/22-23.

90- الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ، نيل الاوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار ، الناشر: دار الطباعة المنيرية، 2/368-370، وينظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ، 2/203.

91- ابن حزم ، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد ، المحلى بالآثار شرح المجلى بالاختصار، 4/187 .

92- ينظر: ابن الهمام، شرح فتح القدير 1/407 .

93- الكاساني ، بدائع الصنائع: 2/128 .

94- العيني ، بدر الدين أبي محمد بن أحمد ، عمدة القارئ بشرح صحيح البخاري ، 5/190، وعون المعبود ، 8/167 .

95- النووي ، خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام: 1/497 ، الرملي ، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج : 2/22-23 .

96- ابن قدامة ، المغني ، 2/246-247 .

97- ابن حزم ، المحلى ، 4/187 .

98- البخاري ، كتاب الجنائز ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (يعذب الميت ببكاء ...)، رقم (1286 ، 1287 ، 1290). ومسلم ، باب الميت يعذب ببكاء أهله ، رقم (927، 928).

99- ابن حجر العسقلاني ، مصدر سابق ، الكتاب والباب السابقين ، 3/195.

100- النووي ، شرح صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب الميت يعذب ، 5/480-485 . وكذلك ينظر: النووي ، المجموع شرح المهذب ، تحقيق المشايخ: عادل أحمد وآخرون ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2007م – 1428 هـ ، 6/ 314-315 .

101- النووي ، الأذكار ، ص 133 .

102- العسقلاني ، 3/195 .

103- البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ما ينهى من الحلق عند المصيبة ، رقم (1296). مسلم، كتاب الجنائز ، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب ...، رقم (298).

104- البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ما ينهى عن النوح والزجر عن ذلك ، رقم (1306).

105- النووي ، محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف ، الأذكار ، اعتنى به عبد الرحمن المسطاوي ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، ط2 ، 1426 هـ – 2005م ، ص 131 . وينظر: النووي ، المجموع شرح المهذب ، 6/313 .

106- فتح الباري ، كتاب الجنائز ، 3/322 .

107- صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب التشديد في النياحة ، رقم (2203).
108- النووي ، شرح صحيح مسلم ، 489/5 .
109- صحيح مسلم، كتاب الجنائز، إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة على الميت، (236).
110- النووي ، الأذكار ، ص 133 .
111- البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ليس منا من ضرب الخدود ، وباب ما ينهى من الويل ودعوى الجاهلية عند المصيبة ، رقم (1297 و 1298). مسلم ، كتاب الجنائز ، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب ، رقم (296).
112- البخاري ، كتاب الجنائز ، باب من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن ، رقم الحديث (1299) .
113- العسقلاني ، 213/2-215 في شرح الأحاديث (1298 و 1299).
114- الترمذي: كتاب فضائل الجهاد ، باب ما جاء في فضل المرابط: رقم (1669).
115- الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب ، تحقيق: حمدي عبد المجيد ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط1 ، 1405 هـ/1984م : مسند الشاميين، رقم الحديث: (548).
116- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، دار الفكر، بيروت، ط1 ، 1401هـ/1981م ، رقم الحديث (5308، 137/2).
117- الترمذي ، كتاب الزهد ، باب ما جاء في حفظ اللسان ، رقم (2406)
118- متولي ، الدكتور أحمد مصطفى ، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنّة النبوية، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، ط1 ، 1426 هـ - 2005م ، ص 924 - 927.